

التفسير المطول - سورة البقرة 002 - الدرس (33-95): تفسير الآيات 83-86، معرفة المنهج
الدقيق لله افعل و لا تفعل
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-04-02

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعود الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.
أيها الأخوة الكرام مع الدرس الثالث والثلاثين من دروس سورة البقرة.

العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده في عالم الذر:

مع الآية الثالثة والثمانين وهي قوله تعالى :
(وَإِذْ أَخْذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْنِدُنَّ إِلَى اللَّهِ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَةَ ثُمَّ تَوَلَّتُمْ إِلَى قَلِيلٍ مِّنْهُمْ وَأَثْنَمُ مُعْرَضُونَ (83))
ذكرت في درس سابق أيها الأخوة أن كلمة (إذ) ذكرت في آية 83

تعني اذكروا حين:

(وَإِذْ أَخْذْنَا (83))

أي اذكروا حين أخذنا منكم الميثاق الغليظ:

(وَإِذْ أَخْذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (83))

الميثاق هو العهد، والبشرية جماعة حينما خلقوا في عالم الذر قال لهم الله تعالى:

(أَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى)

(سورة الأعراف الآية: 172)

أخذ الله على خلقه العهد أن يأتوا إلى الدنيا ليطیعوه، ولیتعرّفوا إليه، ولیتعلموا الصالحات لتكون الصالحات ثمنًا لجنةً أبديةً، هذا هو العهد، نحن في الدنيا من أجل أن نعرفه، ومن أجل أن نطيعه فنسسلم، ومن أجل أن نعمل الصالحات فنسعد، ومن أجل أن تكون هذه المعرفة وتلك الطاعة وهذا العمل الصالح ثمن الجنة، خلقنا لجنةً عرضها السماوات والأرض:

الدرس (33-95): تفسير الآيات 83-86، معرفة المنهج الدقيق لله افعل و لا تفعل

((أعددت لعبادِي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر))

[الجامع الصغير عن أبي هريرة رضي الله عنه]

سبب مجئنا إلى الدنيا:

العهد أن نأتي إلى الدنيا فنتعرف إلى الله من خلال الكون، والكون كله ينطق بأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى، أن نأتي إلى الدنيا وأن نستخدم العقل الذي أودعه الله فينا، وأن نصغي إلى صوت النطرة التي فطرنا عليها، وأن نستخدم حرية الاختيار في اختيار الخير، وأن نستخدم الشهوات كقوى محرّكة لا قوى مدمرة، وأن نجعل من الشرع منهاجاً لنا، من أجل هذا جئنا إلى الدنيا، وهذا هو العهد الذي عاهدنا ربنا عليه، وهذا مضمون قوله تعالى:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُوهَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمَلُوهَا
الإِنْسَانُ)

(سورة الأحزاب الآية: " 72 ")

وقال:

(وَإِذْ أَخْدَنَا مِيقَاتَ بَنَى إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ (83))

كلمة جامعه مانعه هي الدين كله: لا تعبدوا إلا الله، يجب أن نؤمن به إليها واحداً موجوداً كاماً وأن نعبده، وأن نعبده وفق ما أمر لا وفق أمرجيتنا، تسألك إحداهم: هل من الممكن أن نعمل عقد زواج صوري ليكون هذا الزوج الصوري محرم لي في الحج؟ عجيب، تريدين أن تعبدي الله وفق مزاجك، ليس هناك محرم فأنت لست مستطيعة، استطاعت المرأة أن يكون لها محرم تحج معه، طبعاً ضربت هذا المثل عرضاً، يريد أنس كثيرون أن يعبدوا الله وفق أمرجيتهم، لا يعبد الله عز وجل إلا بما شرع:

(لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ (83))

تعريف بالعبادة:

الطاعة لله وحده، والعبادة - كما أقول دائماً وأعيد هذا كثيراً - طاعة طوعية ممزوجة بمحبةٍ فلبيةٍ أساسها معرفةٌ يقينيةٌ تقضي إلى سعادة أبدية، معرفة، طاعة، سعادة:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ (25))

(سورة الأنبياء)

فحوى دعوة الأنبياء جمیعاً :

(أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)

(سورة المؤمنون الآية: " 32 ")

وردت هذه الآية عشرات المرات

(أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ(56))

(سورة الذاريات)

قرَنَ اللَّهُ الْإِحْسَانَ إِلَى الْوَالِدِينَ بِعِبَادَتِهِ تَعْظِيمًا لِقَدْرِ الْوَالِدِينِ :

لَا يُعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ، وَهِينَما تَعْبُدُ اللَّهَ تَعْبُدُهُ وَفَقَدْ مَا شَرَعَ :

(لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ (83))

الْوَالِدَانِ هُمَا سبب وجودك :

(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (83))

قَرَنَ اللَّهُ الْإِحْسَانَ إِلَى الْوَالِدِينَ بِعِبَادَتِهِ تَعْظِيمًا لِقَدْرِ الْوَالِدِينِ، وَلَوْ أَنْ فِي الْلُّغَةِ كَلْمَةً أَقْلَى مِنْ (أَفَ) لَقَالَهَا
الله عزَّ وجلَّ :

(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (83))

طبعاً هذه الآية افعل، والآية التي بعدها لا تفعل :

(وَإِذْ أَخْدَنَا مِيقَاتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ
وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَةَ ثُمَّ تَوَلَّتُمُ (83))

مضمون منهج الله عزَّ وجلَّ :

لقد تضمنَتْ هذه الآية العديد من العبادات بالإضافة إلى العبادة الاعتقادية في مطلبها، عبادات شعائرية :

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَةَ (83))

عبادات قولهَّ :

(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا (83))

عبادات تعاملية :

(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ (83))

عبادة اعتقدية:

(لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ (83))

هذا مضمون منهج الله عز وجل: عبادة اعتقدية، وعبادة شعائرية، وعبادة تعاملية، وعبادة قوله.

الفرق بين الأمر التكليفي والأمر التكويني :

قال تعالى:

(وَإِذْ أَخْذَنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ
وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّتُمْ (83))

الذي حصل أن هناك توقي، هناك تقصير، هناك إعراض، أنت مخير، كل الخلق عدا الإنسان والجن مسيرون، الشر لا وجود له إلا في عالم الإنسان والجن لأنه مخير، الأمر التكليفي غير التكويني، هناك أمر تكليفي وهناك أمر تكويني، الأمر التكليفي طريق سالك؛ لكن في أوله لوحة كتب عليها من نوع المرور، فأنت إما أن تسير وتخالف وتدفع الثمن الباهظ، وإما أن تتأمر فتسلم وتسعد، فالامر تكليفي لك أن تطيع، ولك ألا تطيع، أما الأمر التكويني ليس لك خيار، الله عز وجل له أمر تكليفي وله أمر تكويني، خلفك من فلان وفلانة هذا تكويني، خلفك بشكل معين تكويني، خلفك بعصر معين تكويني، بزمن معين، بمكان معين، بقدرات معينة كله تكويني، قال لك: صل، هذا تكليفي، أصدق تكليفي، كن أميناً تكليفي، اعدل تكليفي، غض البصر تكليفي، هناك أمر تكويني هو فعل الله، وهناك أمر تكليفي هو أمر الله، فهذا أمر تكليفي:

(لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ (83))

يمكن أن تعبد غير الله؟ ممكن لأن الأمر تكليفي:

(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (83))

يمكن أن يكون الإنسان ابنًا عاقًا؟ ممكن:

(وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ (83))

يمكن أن يبني مجده على نهب أموال هؤلاء..؟ ممكن:

(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا (83))

يمكن أن تقول سوءاً للناس؟ أمر تكليفي تفعل أو لا تفعل:

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ (83))

يمكن أن لا تصلي، أنت مخير، فالخيار يثمن العمل، لو لا الاختيار ما كانت هناك جنة في الأساس.

مقوّمات التكليف:

الجنة لأنّك مخير، يقدم الإنسان فحصاً فينجح، يقام له احتفال تكريمي، لماذا التكريم؟ لأنّه درس وطالب آخر ما درس، الأول لأنّه اجتهد والطالب الآخر ما اجتهد، الأول لأنّه نجح والآخر ما نجح، هو مخier يدرس أو لا يدرس، فالذي درس واجتهد ونجح يُقام له حفل تكريمي، والذي رسب يوبخ، فأنت مخier، لا تنس أن مقوّمات التكليف هي الكون، والعقل، والفطرة، والشهوة، والاختيار، والشرع:
(وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وأنووا الزكاة ثم تولئتم إلّا قليلاً منكم وأنتم معرضون) (83)

هذه الآية أفعل، أما لا تفعل فإليك الآية :

(وَإِذْ أَخْدَنَا مِيَاثِقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَفْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ
(84)

الله عز وجل يحبنا أن نكون منتظمين ومتعاونين كالجسد الواحد:

ما يلفت النظر في هذه الآية :

(لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ (84))

مجتمع المؤمنين مجتمع واحد، وحدة، مجتمع المؤمنين في الأصل كما أراد الله عز وجل كالجسد الواحد، إذا اشتكي منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، أنت حينما تأخذ مال أخيك ضعفته، وإذا ضعفته ضعفت المؤمنين، وإذا صنعت مال أخيك قويته، وإذا قويته قويت المؤمنين، وأنت من المؤمنين، فأنت حينما تأكل مال أخيك ضعفت نفسك.

هذا مثلٌ أوضح: الآن لو أن أسرة مؤلفة من خمسة شباب، أعنوا أحدهم حتى صار طيباً، وصار دخله كبيراً، هذا الدخل عاد على أخيه، أما لو جعلوا العصي في العجلات، منعوه من الدراسة، ليقي فقيراً، وصار عبئاً عليهم - الفكرة واضحة - هذا الأخ له خمسة إخوة، إذا دعموه وساعدوه وصار ذا مهنة دخلها كبير، دخلها الكبير عاد إليهم، أما إن أخذوا ماله، ومنعوه من الدراسة، بقي فقيراً، وصار عبئاً عليهم ، فعلى مستوى خمسة إخوة أنت إن أخذت مال أخيك فقد أخذت من مالك وأنت لا تدرى، إن أضعفته أضعفتك، وإن قويته قويت نفسك، إذا دللت على القواعد الصحية وعاش صحيح البدن فأنت ارتخت، إذا كان أخوك بخير فأنت بخير، أما إذا أهملت توجيهه الصحي فارتكتب أخطاء صحية كبيرة وأصابه مرض عضل فأنت المسؤول، أنت مكف بمعالجته، هذا شيء واضح جداً في الأسرة. إذا أهمل الإنسان صحة أولاده سيدرك أموالاً طائلة في معالجتهم، لأنّه مسؤول عنهم، لو انتبه لصحة أولاده لارتاح، فكان الله عز وجل يقول لنا: أنت بمثابة الجسد الواحد فإن أكلتم أموالكم أضعفتم أنفسكم،

إن سفكتم دماءكم ضعفتم أنفسكم، إن أخرجتم أخوانكم من بيوتهم ضعفتم أنفسكم، أي أن الله عزّ وجلّ أرادنا أن نكون جماعة، وأرادنا أن نكون متعاونين، متبادلين، متناصرين، متضامنين، متناصحين، ولا يحبّنا الله عزّ وجلّ إلا بهذا النظام والتعاون، قال تعالى:
(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالثَّقَوْيَ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدُوَانِ)

(سورة المائدة الآية: "2")

التناقض بين الطبع والتکلیف هو ثمن الجنۃ:

أخواننا الكرام، الإنسان له طبعٌ له تكليفٌ، طبعه فرديٌّ، والتوكيل تعاونيٌّ، أمرك الله أن تتعاون مع أخيك، فأنت بقدر إيمانك بالله وبقدر طاعتك له تتعاون، وبقدر ضعف إيمانك وبقدر تفتكاك تتنافس، فالملتعاون مؤمن والمتنافس عاصٌ، لأن التعاون تكليفٌ والفرديةٌ طبعٌ، والتناقص بين الطبع والتوكيل هو ثمن الجلة، مثل هذه الآيات في القرآن :

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)

(سورة البقرة الآية: " 188 ")

طبعاً ليس معنى الآية أن تأخذ من جيبك الأيمن مبلغاً من المال تضعه في جيبك الأيسر، لا ليس هذا هو المعنى، هذا المال مال أخيك هو مالك من زاوية واحدة، من زاوية ضرورة الحفاظ عليه، فلأنه تمتتع من أكله من باب أولى، إذا أغارك أخوك سيارته فهي سيارتك بمعنى أنه يجب أن تقدّها بعنايةٍ فائقة، وكأنها سيارتك، هي ليست لك بل هي له، ولكن سنقول مؤقتاً هي سيارتك، أي عاملها كأنها سيارتك، اعتن بها، قُدّها بلطف، بعنايةٍ فائقة، فإذا قلنا: هذه السيارة سيارتك ليس المعنى أنها سيارتك، المعنى أنه ينبغي أن تقدّها وكأنها سيارتك، من زاوية العناية بها، فإذا قال الله عزَّ وجلَّ:

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)

(سورة البقرة الآية: " 188)

أي لا تأكلوا مال أخوانكم، ولكن سُمِّيَ مال أخيك مالك من زاوية وجوب العناية به والحفظ عليه وكأنه مالك، هذه نقطة دقيقة جداً، إذا كان الشيء ليس لك فقد تكسّر، تهمله، تتلفه، تحطّمه، هذا سلوك الكفار؛ أما المؤمن مال أخيه هو ماله، من زاوية الحفاظ عليه، يعني بحاجات أخوانه، يعني بالآتِهم، ببيوتهم، لو أسكنوك في بيتك وكأنه بيتك، ولو أغاروك مركبة وكأنها مركبتك، أعطاك مالاً كي تستثمره وكأنه مالك، لا تجعل مالك دون ماله - الفكرة دقيقة - فلو أن تاجرًا أتاه مال للاستثمار، وكان صنف البضاعة غير معروف، فوضعه في هذا الصنف المجهول، فهل يربح؟ أم لا يربح؟ يقول لك: إذا ربح ادخل رأس مالي الشخصي، أما إذا لم يربح فيمسك ماله لنفسه، ويقول: ما في نصيب، يقول لك: لم أشارك

بمالي لأنه ما في نصيب، وهذا ترتيب الله سبحانه، أشار النبي إلى هذه الناحية فقال: " ولا تجعل مالك دون ماله ".

يجب أن تتعامل مع مال أخوانك وكأنه مالك وذلك من زاوية وجوب الحفاظ عليه وصونه:

لا تجعل مال الإنسان اليتيم وسيلة تجسس بها نبض السوق، لا، بل يجب أن تتعامل مع مال أخوانك وكأنه مالك، وذلك من زاوية وجوب الحفاظ عليه وصونه، طبعاً فلأن تمتنع عن أكله من باب أولى، من باب أولى ألف مرّة، فاحذر:

(ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)

(سورة البقرة الآية: " 188)

وقال:

(ولا تلمزوا أنفسكم)

(سورة الحجرات الآية: " 11)

لن تجد إنساناً يحتقر نفسه لكنه يحتقر أخيه، يطعن بأخيه، فإن طعنك بأخيك طعنت بنفسك، أنا أضرب أمثلة للتوضيح - لو أن إنساناً يجلس في لقاء يحوي خمسين أو ستين شخصاً، وقال: أبي فعل كذا أمرأ قبيحاً، وأبي خالٍ من الأخلاق، وأبي قليل الدين مثلاً، فقد طعن بنفسه من دون أن يشعر، إذا كان هذا حال أبيك فأنت على هذه الشاكلة، فإذا ذمَّ الإنسان أقرب الناس له كأنه ذمَّ نفسه وهو لا يشعر.

بعض مما يحبه الله عز وجل:

قال تعالى:

(ولا تلمزوا أنفسكم)

(سورة الحجرات الآية: " 11)

لم يقل: ولا تلمزوا أخوانكم، ولكنه قال: هذا أخوك سمعته من سمعتك لذلك :

((من أساء بأخيه الظن فقد أساء بربه))

[كنز العمال عن عائشة]

: و

((من أكرم أخاه المؤمن فإنما أكرم الله))

[رواه الأصحابي عن جابر والعقيلي عن أبي بكر]

الله عزَّ وجلَّ يحب السر، يحب التعاون، يحب التضامن، يحب التكافف، التناصر، التسامح، يحب التزاور،
هذا الذي يحبُّ الله عزَّ وجلَّ، أنا آتيكم بأمثلة:

الدرس (33-95): تفسير الآيات 83 - 86، معرفة المنهج الدقيق لله افعل و لا تفعل

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ)

(سورة البقرة الآية: " 188 ")

وقال:

(وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ)

(سورة الحجرات الآية: " 11 ")

وقال:

(لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ (84))

أربع آيات أو خمس آيات في القرآن الكريم فيها استفهام كبير، بالظاهر لأنه لا يوجد إنسان يقتل نفسه، أما إذا قتلت أخيك ثم ساق إلى المحكمة فيحكم عليك بالإعدام، معنى هذا أنت قتلت نفسك وأنت لا تدري، وقد قيل: " القتل أنفى للقتل ".

ينطلق المؤمن من حقيقة كبرى أنَّ كُلَّ الْخَلْقِ عِيَالَ اللَّهِ:

عندما نقتل القاتل فقد ردعنا ألف إنسان مجرم كان كل منهم ينوي أن يقتل، فالمعاني دقيقة جداً، أول آية افعلوا، الآية الثانية لا تفعلا:

(وَإِذْ أَخْذَنَا مِيثَاقَكُمْ (84))

اذكروا أيضاً:

(وَإِذْ أَخْذَنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ (84))

إذا يظل المسلم بخير ما لم يسفك دماً، أي إذا عاش الإنسان حياة مديدة ولم يصدر عنه أذى لإنسان هذا وسام شرف كبير، طبعاً القتل فما دون، تجريح، أو غيبة، أو نميمة، أو ابتزاز أموال، أو طعن بالأعراض، أو بالأنساب، أي أن تكون بعيداً عن إيذاء الخلق، وقد ورد في الحديث:

((اثنان لا تقربهما ؛ الشرك بالله والإضرار بالناس))

[سلسلة الأحاديث الضعيفة]

تصوّر أبا له أولاد، فالذي يعتدي على أحد أولاده كأنه اعتدى على الأب، أن تعتدي على ابن هو عدوان على الأب، لذلك ينطلق المؤمن من حقيقة كبرى كل هؤلاء الخلق عيال الله، بقدر محبتك لله تنفع عياله، بقدر محبتك لله تُحسن إليهم، بقدر محبتك لله تلقي في قلوبهم الأمان والسكينة، بقدر محبتك لله تسعدهم، بقدر محبتك لله تعطيهم.

الإنسان الآخر - الطرف الآخر - بقدر بعده عن الله يبتئِرُ أموالهم، بقدر بعده عن الله يُرْعِبُهم، بقدر بعده عن الله يخوّفهم، بقدر بعده عن الله يطعن بهم.

الإنسان يحجب عن رب العباد عندما يؤذى العباد وذلك أكبر عقاب من الله للإنسان:

خدمة الخلق قربى إلى الرب وإيذاء الخلق بعد عن الله عز وجل، إنني أعتقد أن إنساناً يرى طفلاً في الطريق فيصفعه صفعاً شديداً ثم يلقي بأبيه في البيت التالي فإنه سينتابه خجلًّا شديداً، وخاصة إذا كان الطفل لم يفعل شيئاً، إنك لا تستطيع أن تتصل بالله إذا آذيت خلق الله عز وجل، والحقيقة الإنسان يحجب عن رب العباد عندما يؤذى العباد وذلك أكبر عقاب من الله يعاقب به الإنسان، أكبر عقاب على الإطلاق:

(كَلَّا إِلَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15))

(سورة المطففين)

أنت حينما تؤذى عباد الله، حينما تبتز أموالهم، حينما تحتل عليهم، حينما تنتهك أعراضهم، حينما تلقي في قلوبهم الخوف، حينما تحرّر وجههم، حينما تسحقهم، حينما تبني ثروتك على إفقارهم، حينما تبني مجده على أنقاضهم، حينما تبني عزك على إذلالهم، أنت عندئذ أخذت أكبر عقاب من الله وهو أن الله عز وجل حبك عنه وطردك من رحمته، فكن عبد الله المظلوم إذا كان الطريق إلى الله سالكاً ولا تكن عبد الله الظالم إذا كان الطريق إلى الله مقطوعاً، أيهما أفضل أن يكون الطريق إلى الله سالكاً ولكل حق عند أخيك ؟ أم أن تأخذ ما ليس لك والطريق إلى الله مسدود ؟ الإيمان يحل هذه المشكلة، المؤمن يعدّ المليون قبل أن يأخذ ما ليس له، قبل أن يحتال على إنسان آخر، قبل أن يخيف إنساناً ما، قبل أن يسبّ الأذى لإنسان، قبل أن يُحرج إنساناً، قبل أن يفضح إنساناً، قبل أن يكون سبباً في هلاك إنسان.

هنيئاً من كان مفتاحاً للخير والبر والويل لمن كان مفتاحاً للشر:

قال تعالى:

(وَإِذْ أَخْذْنَا مِيَاثِقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَفْرَرْتُمْ وَأَثْمَمْ تَشْهَدُونَ)

(84)

أخذ ربنا عز وجل العهد علىبني إسرائيل أن يعبدوه، وأن يحسنوا إلى الوالدين وذى القربى واليتامى والمساكين، وأن يقولوا للناس حسناً، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وأخذ عليهم العهد أيضاً لا يسفك بعضهم دماء بعض، ورد في بعض الأحاديث أنه من علامات قيام الساعة موته كعacas الغنم لا يدرى القاتل لم يقتل ولا يدرى المقتول فيما قتل.

ما معنى أن يخرج ربع مليون إنسان من بلدتهم خوفاً على دمائهم ؟ هذا الذي يجري في العالم الآن:
((ثُمَّا الْأَرْضُ جَوْرًا وَظَلْمًا، فَيُخْرُجُ رَجُلٌ مِّنْ عِثْرَتِي يَمْلِكُ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا فِيمَا الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا))

[أحمد عن أبي سعيد الخذري]

تقوم القيامة ولا تقدر من أجل جندي أو جنديين، ومن أجل مئات بل ألوف بل بضعة ملايين يُقتلون،
يموتون جوعاً، يُطردون من ديارهم لا يحرّك أحد ساكناً أبداً:

قتل امرئٍ في غابةٍ جريمةٌ لا تغفرُ وقتل شعبٍ آمنٌ مسألةٌ فيها نظر

هكذا تمتلي الأرض ظلماً وجوراً، هنيئاً أيها الأخوة، هنيئاً لمن كان مفتاحاً للخير، هنيئاً لمن كان مفتاحاً
للبر، والويل لمن كان مفتاحاً للشر، هذا الذي ينام وفي رقبته جرائم القتل والتشريد والجوع كما يفعل
أعداؤنا، ينامون والشعوب تتنفس من الجوع، والشعوب تتنفس من الظلم، والشعوب تتنفس من ضيق ذات اليد
وهم ينفقون على كلابهم ألوف الملايين، يطعمون كلابهم من اللحم ما لا تأكله شعوب بأكملها، لذلك:
((وَلَا تَحْسِنَ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)) (42)

(سورة إبراهيم)

سلاح من الله تعالى لمواجهة كيد الكافرين :

يجب أن أقول هذه الآية شفاءً للصدور:

((وَقُدْ مَكْرُوْرُوا مَكْرُهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)) (46))

(سورة إبراهيم)

الله يُبيّنُ عظم مكرهم، أعطاك سلاحاً في مواجهة كيدهم، فقال:

((وَإِنْ تَصِيرُوْرُوا وَتَنَقُّلُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا))

(سورة آل عمران الآية: " 120)

هذا قرآن، كلام الواحد الديّان، كلام خالق الأكونات:

((وَإِنْ تَصِيرُوْرُوا وَتَنَقُّلُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا))

(سورة آل عمران الآية: " 120)

متى وصل إلينا مكرهم ؟ وصل عندما لم نتقى ولم ننصر، لم ننقذ الله ولم نطعه ولم ننصر على ترك
منتجاتهم أبداً، نحن متعلقون بمنتجاتهم، لو امتنعنا عن شراء حاجاتهم، لو صبرنا واتقينا الله عزّ وجل
لكف الله عنا كيدهم

((وَإِنْ تَصِيرُوْرُوا وَتَنَقُّلُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا))

آية قرآنية.

كفاك على عدوك نصراً أنه في معصية الله:

قال تعالى:

(وَإِذْ أَخْدُنَا مِيَاثِقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَفْرَرْتُمْ وَأَثْبَثْتُمْ شَهَدُونَ)

(84)

أخواننا الكرام، هناك مقوله أتمئى أن تكون واضحة عندكم: كفاك على عدوك نصراً أنه في معصية الله، فالحياة تنتهي بالموت، هنيئاً لمن مات طائعاً لله، والويل ثم الويل لمن مات عاصياً لله. ذكرت لكم من قبل أن رجلاً من الناس كان يطوف حول الكعبة وهو يقول: رب اغفر لي ذنبي ولا أظنك تفعل، وكان وراءه رجل فقال له: يا هذا ما أشد يأسك من رحمة الله، قال له: ذنبي كبير، لو أنك تعرف ذنبي، قال له: ما ذنبي؟ قال له: كنت في حملة قمع فتنـة - هذه القصـة قديمة وقعت في العصور العـبـاسـيـة - فلما قـبـعـتـ أـبـيـحـتـ لـنـاـ المـدـيـنـةـ، قالـ: فـدـخـلـتـ أـحـدـ الـبـيـوـتـ، فـرـأـيـتـ فـيـهـ رـجـلـاـ وـامـرـأـةـ وـولـدـيـنـ، فـقـتـلـتـ الرـجـلـ، وـقـلـتـ لـأـمـرـأـتـهـ: اـعـطـنـيـ كـلـ مـاـ عـنـدـكـ، فـأـعـطـتـهـ كـلـ مـاـ عـنـدـهـ، فـقـتـلـ غـلامـهـاـ الـأـوـلـ، قالـ: فـلـمـاـ رـأـيـ جـادـاـ فـيـ قـتـلـ الثـانـيـ أـعـطـتـيـ درـعـاـ مـذـهـبـةـ ؛ـ مـنـ الـذـهـبـ، أـعـجـبـتـيـ، وـدـهـشـتـ بـهـاـ، فـإـذـاـ عـلـيـهـاـ بـيـتـانـ منـ الشـعـرـ قـرـأـتـهـماـ، فـوـقـعـتـ مـغـشـيـاـ عـلـيـ، مـكـتـوبـ عـلـىـ هـذـهـ الـدـرـعـ الـمـذـهـبـةـ:

**إذا جار الأمير وحاجبه وقاضي الأرض أسرف في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء**

يقول لك: تطهير عرقـيـ، تـقـتـلـ إـنـسـانـاـ بـلـاـ سـبـبـ فـقـطـ لـأـنـهـ مـسـلـمـ !!ـ هـذـاـ إـنـسـانـ مـيـتـ، قـالـ

(وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سُلِّتْ) (8) بـأـيـ ذـبـبـ فـتـلـتـ (9))

(سورة التكوير)

روى رجل في الجاهلية النبي الكريم قصـةـ عندما كان جاهـلـاـ، وصفـ لهـ اـبـنـهـ الجـمـيلـةـ جـادـاـ في رـيـانـ الصـبـاـ، أـخـذـهـ بـيـدـهـ إـلـىـ مـكـانـ بـعـيدـ ثـمـ دـفـنـهـاـ وـهـيـ حـيـةـ:

(وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سُلِّتْ) (8) بـأـيـ ذـبـبـ فـتـلـتـ (9))

(سورة التكوير)

أدلة من القرآن الكريم عن انتقام الله تعالى:

إذا كان الإنسان قادراً على إيذاء الناس، هؤلاء الذين يُقتلون المسلمين والله لا تجد مسلماً إلا وهو يتآلم ألمًا شديداً، مستحيل أن تجد مسلماً ولا يتآلم، بل يتآلم الماء لا يتحمل وهو يسمع الأخبار، هؤلاء الذين يهجرونهم، يشردونهم، يجيعونهم، يقتلونهم غرداً، لذلك:

(وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُوَحِّرُهُمْ لِيَوْمٍ شَخْصٌ فِيهِ الْأَبْصَارُ)

(سورة إبراهيم)

وقال:

(فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعَدْهُ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو الْإِنْتِقَامِ)

(سورة إبراهيم)

وقال:

(لَا يَغْرِيَكَ تَقْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا مَوَاهِمُ جَهَنَّمُ وَبَئْسَ الْمِهَادُ (197))

(سورة آل عمران)

وقال:

(إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16) فَمَهَلْ الْكَافِرِينَ أَمْهَلْهُمْ رُوَيْدًا (17))

(سورة الطارق)

هنيئاً لمن كان مفتاحاً للخير، أيها الأخوة طيبوا نفساً، إذا نمت مساءً وما من إنسان متعلق بك، لست متسبباً بإيذاء إنسان، ولا بقتل إنسان، ولا بإفقار إنسان، ولا بإذلال إنسان، ولا بفقد حرية إنسان، لست متسبباً بالأذى لأحد، فإنك لو أكلت أحسن الطعام فأنت أسعد الناس، لو سكنت في أضيق بيت فأنت أسعد الناس، لو عانيت لا سمح الله كل الأمراض أنت أسعد الناس بشرط ألا تكون متسبباً بإيذاء مخلوق، ولا بإفقار مخلوق، ولا بإخافة مخلوق، ولا بالإساءة لمخلوق.

واقع اليهود:

واقع اليهود قاتلهم الله:

(ثُمَّ أَنْتُمْ هُوَلَاءٌ تَقْتَلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْأَثْمِ وَالْعُدُوانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَقْتُلُمُنَّ بِعَضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا حَزْنٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (85)

اليهود في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وهم بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريطة، فريقٌ منهم عاهدوا الأوس، وفريق كانوا مع الخزرج، لخطأ رسموها من أجل أن تكون العداوة دائمة بين الفريقين، ومن أجل أن يعيشوا على عداوة الفريقين، انحاز بعضهم إلى الأوس وبعضهم إلى الخزرج، وكانوا في الوقت نفسه يتبرون الأوس على الخزرج، والخزرج على الأوس، يعيشون على أنقاض الأوس والخزرج، مكر شديد جداً، فريق من اليهود مع الأوس، وفريق مع الخزرج، وكل فريق يُحِمِّس الطرف الآخر لقتل صاحبه، فإذا نشب حربٌ بين الأوس والخزرج مع حلفائهم من اليهود، ووقع بعض اليهود أسرى، يعمدون إلى فدائهم، حيلة ماكرة جداً في محاولة إفانة الفريقين الأوس والخزرج وبسط سلطتهم على محيطهم.

(ثُمَّ أَنْتُمْ هَوَلَاءٌ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْ دِيَارِهِمْ (85))

إنهم متقوون اتفاقاً، نصفهم مع الأوس ونصفهم مع الخزرج، ويبيثون الحراس بين هؤلاء لقتل هؤلاء وبين هؤلاء لقتل هؤلاء، فإن نشب القتال، طبعاً الأوس قاتلوا مع أنصارهم اليهود والخزرج قاتلوا مع حلفائهم اليهود، فإذا نشب قتال بين اليهود قتلوا أنفسهم، قتلوا أبناء جلدتهم، فمن لم يُقتل أخذوه أسيراً ثم افتدوه بعد أن يكونوا قد وصلوا إلى مآربهم في الواقعية بين الفريقين العربين.

من أخطر أمراض اليهود أنه يعجبهم من الدين ما هو يسير:

قال تعالى:

(ثُمَّ أَنْتُمْ هَوَلَاءٌ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ (85))

بالمعركة القدرة التي أججتوها أنتم بين الأوس والخزرج:

(وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ (85))

يقول لك: تكتيك، خطأ ذكيّة، الخطأ الذكيّة تسمى ذكيّة إذا كانت وفق منهج الله فإن لم تكن وفق منهج الله فهي خطأ قذرة:

(أَفَلَوْمَأْنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفِرُونَ بِبَعْضِ (85))

هذا من أخطر أمراض اليهود وأنا أؤكّد لكم أن المسلمين وقعوا في هذا المرض، يعجبهم من الدين ما هو يسير، الشيء الجميل، مثلاً السفر، الحفلات، الاحتفال بذكرى المولد، الشيء السهل، أما الانضباط؛ ضبط الشهوات فلا يعجبهم، كسب المال الحال فلا يعجبهم، يريد كسب مال كثير ولو من طريق مشبوه، فالذي يعجبه يأخذ منه، أحياناً يصوم في يوم عاشوراء، أو الخامس عشر من شعبان، وهو تارك

لأشياء مهمة جداً في الدين، ومرتكب مخالفات كبيرة جداً في الدين، قضية صيام يوم في السنة سهل جداً، قضية سفر إلى العمرة سهل أيضاً، مع أن العمرة واجبة مرة في العمر، لكن إذا لم يكن منضبطاً إطلاقاً لا قبل ولا بعد فلا جدوى من العمرة، أما ركوب طائرة، وطواف سبع أشواط قضية سهلة جداً، فإذا أخذ الإنسان من الدين ما يعجبه، وأخذ الشيء اللطيف المريح، ذكرى مولد يا أخي، يقول لك: كم كان هناك من التجلّ في المولد يا أخي، لكن البيت عنده ليس منضبطاً إسلامياً، ولا الدخل منضبط، ولا العلاقات منضبطة، ولا يوجد التزام إطلاقاً يقول لك: صار هناك تجلٌّ كثير، أي تجلٌّ هذا؟

الذي يأخذ من الدين ما يعجبه ويدع ما لا يعجبه هذا وقع في مرض من أمراض اليهود:

قال تعالى:

(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ) (85)

تأخذ من الدين ما يعجبك وتدع ما لا يعجبك، يقول لك: الزوج سُنّة يا أخي، أعجبه الزواج من الدين كلّه، أنا أقبلت على الزواج لأنّه سُنّة يا أخي، الشيء المريح الذي يعجبه أخذه، وبالغ به، وأنثى عليه؛ أما إذا قلت له: غض بصرك، فإنه يقول لك: أين أذهب بعيوني؟ وإن قلت له: هذا الدخل فيه شبهة اتركه، فإنه يقول لك: هذا الدخل كبير وبصعب تركه، أحد الأشخاص عنده مطعم يبيع فيه الخمر قال لي: إن شاء الله الإثم والوزر برقبة شريكه وليس ذنبي أنا؟ أنا لا أقعد في المحل ولكن شريكه هو الذي يبقى فيه ويدبره، يعجبه دخل كبير من مطعم يبيع خمراً مع أنه يصلّي في المسجد، وأنا أضرب أمثلة وهي ليست على سبيل الحصر وقد يكون هناك آلاف من الأمثلة الأخرى، هذا الذي يأخذ من الدين ما يعجبه ويدع ما لا يعجبه، هذا وقع في مرض من أمراض اليهود:

(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ مِثْمُمْ إِلَّا حِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرِدُونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (85)

وقع المسلمين في هذا المرض.

سبب خسارة المسلمين وخذلانهم:

مليار ومئتا مليون مسلم ليست كلمتهم هي العليا، وليس أمرهم بيدهم، وأعداؤهم لهم عليهم ألف سبيلٍ وسيبيلٍ، هذا هو السبب:

(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ مِثْمُمْ إِلَّا حِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرِدُونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (85)

إذا لم يُقم المسلم الإسلام في بيته، ولم يضبط بناته، ولم يضبط أولاده، وإذا لم يحرر دخله، وإذا لم يكن عمله صحيحاً مشروعًا، ومهنته شريفة منطبقة على الشرع والمنهج، فكيف يسمى نفسه مسلماً؟! أعجبه من الدين الصلاة، الصلاة سهلة جداً، أعجبه من الدين الصيام، طبق الأمور الشعائرية بحذافيرها، صلى وصام وحجَّ وزَكَّى لكن حياته غير إسلامية، بيته غير إسلامي، عمله غير إسلامي، دخله غير إسلامي، إنفاقه غير إسلامي، بيته غير منضبط، بناته غير منضبطات، فما قيمة هذا الذي أخذه مما هو هينٌ عليه، والذي تركه مما هو شاقٌ عليه؟!!

الخاسر في النهاية هو من كسب الدنيا الفانية وضيَّع الآخرة الباقيَة:

قال تعالى:

(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِثْكُمْ إِلَّا حِزْرٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (85)

وقال:

(أُولَئِكَ) (86)

هؤلاء الذين كُلُّفوا ولكنهم لم يفعلوا ما كُلُّفوا به، ونَهَا لكتهم فعلوا ما نَهَا عنهم:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ) (86)

الآخرة تعني الأبد، والحياة الدنيا تعني سنوات معدودة، اشتري الحياة الدنيا بملادتها وشهواتها بالآخرة الأبدية:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) (86)

أفضل كلمة تقال لمن كسب الدنيا فقط: كسب الدنيا الفانية وضيَّع الآخرة الباقيَة، الآن أعداء المسلمين في العالم كلهم كسبوا الدنيا، أقوياء جداً، أغنياء جداً، الأمور كلها بأيديهم، كسبوا الدنيا تماماً؛ لكنهم ضيَّعوا الآخرة، فما دامت الآخرة حقاً فالمؤمن على ما يعني أفضل عند الله ألف مرَّة من هؤلاء الذين كسبوا الدنيا وخسروا الآخرة :

(إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

(سورة الزمر الآية: " 15 ")

والحمد لله رب العالمين